

اللغة العربية واللغات الأجنبية وموقعها في التعليم العام

في الوطن العربي

د. محمود أحمد السيد (*)

نحاول في هذا البحث الموجز أن نتعرف أهمية تعلم اللغة العربية واللغات الأجنبية في الوقت نفسه، وأن نبين واقع تعليم اللغة العربية في التعليم العام، وواقع تعليم اللغات الأجنبية، ثم نوضح الواقع التعليمي في الممارسات داخل الصفوف، والكفايات اللغوية للمتعلمين وميولهم واتجاهاتهم، ثم نقف على بعض القضايا المثارة في مجال تعليم اللغات الأجنبية في التعليم العام، لنرسم بعض الصوى على درب النهوض بهذا الواقع.

أولاً - أهمية تعلم اللغة العربية واللغات الأجنبية

من البدهي أن تعلم اللغات ضرورة ماسة تملئها المتطلبات الوطنية والقومية وطبيعة العصر- الذي نحيا تحت ظلاله، ذلك لأن أي لغة هي أداة التفكير، وهي وسيلة الفرد للتعبير عن مشاعره وعواطفه وأفكاره، ووسيلته لقضاء حاجاته وتنفيذ مطالبه في المجتمع الذي يحيا فيه، وبها يناقش شؤون حياته

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق .

مستفسراً وباحثاً ومستوضحاً، ومطلعاً على تجارب الآخرين ماضياً وحاضراً، وتوجهاً نحو المستقبل، وموظفاً تلك التجارب في حياته، ومؤثراً في وجدانات الآخرين وعقولهم.

ويرى الدكتور طه حسين أننا نفكر باللغة إذ يقول: «نحن نشعر بوجودنا وبحاجتنا المختلفة، وعواطفنا المتباينة وميولنا المتناقضة حين نفكر، ومعنى ذلك أننا لا نفهم أنفسنا إلا بالتفكير، ونحن لا نفكر في الهواء، ولا نستطيع أن نفرض الأشياء على أنفسنا إلا بصورة في هذه الألفاظ التي نقدرها ونديرها في رؤوسنا، ونظهر منها للناس ما نريد، ونحتفظ منها لأنفسنا بما نريد، فنحن نفكر باللغة، ونحن لا نغلو إذا قلنا إنها ليست أداة للتعامل والتعاون الاجتماعيين فحسب، وإنما هي أداة التفكير والحس والشعور».^(١)

واللغة مؤسسة اجتماعية إنسانية، فهي مستودع تراث الأمة، والرباط الذي يربط بين أبناء المجتمع، فتوحد كلمتهم، وتجمع بينهم فكرياً، وهي الجسر الذي تعبر عليه الأجيال من الماضي إلى الحاضر، ومن الحاضر إلى المستقبل. واللغة هي هوية المرء، وهوية مجتمعه وأمته في الوقت نفسه، ذلك لأن اللغة والهوية وجهان لعملة واحدة، إذ ليس الإنسان في جوهره إلا لغةً وهوية: اللغة فكره ولسانه، وفي الوقت نفسه انتهاؤه، وهذه كلها تكون هويته.

وليست ثقافة أي مجتمع إلا منظومة تشمل الجوانب المعنوية فيه لغةً ومعرفةً وعاداتٍ وتقاليده وميولاً واتجاهاتٍ وقيماً وأنظمة ودساتير وقوانين، كما

(١) الدكتور طه حسين - مستقبل الثقافة في مصر - مطبعة المعارف ومكتبتها - القاهرة - ١٩٦٨.

تشمل جميع الجوانب العملية والأدائية والتطبيقية والتقانية في حياته. ولكل مجتمع من المجتمعات البشرية هوية ثقافية تميزه، ولا يمكننا أن نتصور مجتمعاً دون هوية، واللغة هي محور الثقافة وحاملتها والحاضن لها، والمعبر عنها، وهي الأساس الصلب الذي تقوم عليه الأمة والوطن الروحي لها، وما الهوية إلا الطابع المعبر عن الشخصية لغةً وثقافةً، أي لساناً وعقلاً ووجداناً وأداءً، ولا هوية دون لغة، ولا وطن من دون هوية.

وإذا كانت اللغة هي وسيلة المرء للتحكم في بيئته لأنها أداة التفكير وثمرته، وبها تسهل عمليات التفاعل الاجتماعي والانصهار الفكري بين أفراد المجتمع والأمة، فإن لغتنا العربية هي هويتنا، وذاكرة أمتنا، ومستودع تراثها، وجسرنا للعبور من الماضي إلى الحاضر، ومن الحاضر إلى المستقبل، فهويتنا العربية هي انتماء إلى لغتنا العربية، وتاريخنا العربي، وأرضنا العربية، وقرآنا العربي.

ولغتنا العربية هي التي عاشت تاريخنا، وطبعت بالعروبة حضارتنا، وحوث ثقافتنا، ووحدت ألسنتنا وأقلامنا، وهي قلعتنا الحصينة للذود عن هويتنا وذاتيتنا الثقافية ووحدتنا القومية، وهي ذات أبعاد متعددة، فهي من الناحية القومية تجمع بين أبناء الأمة العربية أفقياً وعمودياً مادامت هي الرباط القومي الموحد والموحد، وهي من الناحية الدينية وسيلة العربي لفهم دينه وعقيدته ما دامت هي لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. والقرآن الكريم هو الذي صان هذه اللغة وحفظها من الضياع، وصانها من الاضمحلال والزوال مع كثرة الكوارث التي اجتاحت الأمة والأرزاء والنكبات التي ابتليت بها على مرّ العصور، وما الفضل في صمود اللغة العربية أمام الهجمات الشرسة

التي تعرضت لها الأمة، والتحديات القاسية التي واجهتها في مسيرتها إلا للقرآن الكريم، ذلك الكتاب العربي المبين الذي نزل به الروح الأمين على قلب الرسول العربي الكريم ﷺ آيةً لنبوته، وتأيداً لدعوته، ودستوراً لأمته.

لهذه الأسباب كافةً كان تعلم اللغة العربية وتعليمها واجباً مقدساً، كما أن معرفة اللغات الأجنبية من متطلبات العصر، عصر - العلم والتقانة (التكنولوجيا)، وعصر - الانتشار الثقافي الخاطف، والانفتاح بين الحضارات والثقافات، ولا يعد المرء مثقفاً في حياتنا المعاصرة إلا إذا كان متمكناً من لغته الأم واللغات الأجنبية، وعلى الأقل واحدة منها، ذلك لأن معرفة اللغات الأجنبية تسمح لصاحبها فهم حضارات الشعوب الأخرى، كما تتيح له أن يعرف الآخرين بحضارة أمته، ورحم الله شاعرنا العربي عندما يقول:

بقدر لغات المرء يكثر نفعُهُ وتلك له عند الشدائد أعوانُ
فبادرْ إلى حفظِ اللغاتِ مسارعاً فكلُّ لسانٍ بالحقيقةِ إنسانُ
وما دامت اللغة العربية هي هوية المرء وهوية أمته ووطنه الروحي، وما دامت اللغة الأجنبية هي وسيلته لفهم حضارات الشعوب من طَرَفٍ وتعريف الآخرين بحضارة أمته من طرف آخر.

وما دامت اللغة الأم واللغات الأجنبية يجري اكتسابها وتعلمها في مراحل التعليم، ولا سيما مرحلة التعليم العام، فما حال واقع تعليم اللغة العربية واللغة الأجنبية في واقعنا العربي في التعليم ما قبل الجامعي؟
هذا ما سنعرض له في الصفحات التالية.

ثانياً- واقع تعليم اللغة العربية في التعليم العام

تنص دساتير الدول العربية على أن اللغة الرسمية في الدولة هي اللغة العربية، على أن تتجلى سيرورة وانتشاراً في جميع شؤون الحياة تعليمياً وإعلاماً وإدارة وتراسلاً... إلخ. وإذا ألقينا نظرة على واقع تعليم اللغة العربية في التعليم العام في الوطن العربي فإننا نلاحظ في الجدول ذي الرقم (١) أن تعليم اللغة العربية يبدأ من الصف الأول من مرحلة التعليم الأساسي، ويستمر بها حتى نهاية المرحلة الثانوية في المدارس الرسمية (الحكومية).

الجدول (١)

واقع تعليم اللغة العربية في التعليم العام بالوطن العربي

| الدولة | واقع تعليم اللغة العربية |
|--------|--|
| الكويت | يبدأ تعليم اللغة العربية وتعليم المواد بها من الصف الأول من مرحلة التعليم الأساسي، ويستمر حتى نهاية المرحلة الثانوية في المدارس الرسمية. أما المدارس الخاصة فتعلم باللغتين العربية وبعض المواد بالأجنبية معاً. |
| قطر | يبدأ تعليم اللغة العربية من الصف الأول من مرحلة التعليم الأساسي، وفي المدارس المستقلة التي تشرف عليها الدولة اعتمدت اللغة الإنجليزية لتدريس مواد العلوم والرياضيات والحاسوب. |
| ليبيا | يبدأ تعليم اللغة العربية من الصف الأول من مرحلة التعليم الأساسي، وتعلم جميع المواد في هذه المرحلة وفي المرحلة الثانوية باللغة العربية في المدارس الرسمية والخاصة. |

| الدولة | واقع تعليم اللغة العربية |
|----------|--|
| لبنان | يبدأ تعليم اللغة العربية من الصف الأول في المدارس الرسمية و٣٠٪ من المدارس هي رسمية تدرّس بالعربية و٣٠٪ تدرّس مواد بالفرنسية و٣٠٪ تدرّس مواد بالإنجليزية، وذلك من الصف الأول حتى الخامس، ومن الصف السادس إلى نهاية المرحلة الثانوية يصبح ٦٠٪ للفرنسية و٤٠٪ للإنجليزية. والمواد التي تدرّس باللغة الأجنبية هي العلوم الفيزيائية والكيميائية وعلوم الحياة والتكنولوجيا والمعلوماتية. أما المواد الأدبية فتدرّس بالعربية في المدارس الرسمية والخاصة إلا في عدد قليل من المدارس الخاصة فتعلم الفلسفة والاقتصاد والاجتماع باللغة الأجنبية. |
| تونس | يبدأ التعليم من الصف الأول ويستمر في التعليم الأساسي والثانوي باللغة العربية في المدارس الرسمية، وباللغتين العربية والفرنسية في المدارس الخاصة. |
| سورية | يبدأ التعليم من الصف الأول، ويستمر تعليمها والتعلم بها حتى نهاية المرحلة الثانوية في المدارس الرسمية والخاصة، وثمة مناهج إثرائية باللغة الأجنبية في بعض المدارس الخاصة لمواد العلوم والرياضيات إلى جانب اللغة العربية. |
| السعودية | يبدأ التعليم من الصف الأول ويستمر حتى نهاية المرحلة الثانوية باللغة العربية، وصدر أخيراً عن وزارة التربية والتعليم نظام جديد يسمح للمدارس الأهلية (بنين وبنات) بتعليم جميع المواد بلغة غير عربية ما عدا العلوم الدينية والعربية. |

اللغة العربية واللغات الأجنبية وموقعها في التعليم العام - د. محمود السيد

| الدولة | واقع تعليم اللغة العربية |
|------------|--|
| الأردن | يبدأ التعليم بالعربية من الصف الأول ويستمر حتى نهاية المرحلة الثانوية في المدارس الرسمية والخاصة، ما عدا بعض المدارس الخاصة فتعلم المواد العلمية باللغتين العربية والإنجليزية. |
| المغرب | يبدأ التعليم بالعربية من الصف الأول ويستمر حتى نهاية المرحلة الثانوية في المدارس الرسمية والخاصة، ما عدا المدارس الخاصة فتعلم بعض مواد التعليم التقني والتجاري والصناعي والفنون باللغة الأجنبية. |
| سلطنة عمان | يبدأ التعليم بالعربية من الصف الأول، ويستمر حتى نهاية المرحلة الثانوية في المدارس الرسمية والخاصة. أما المدارس الخاصة فيكون التعليم فيها باللغتين العربية والأجنبية. |
| الجزائر | يبدأ التعليم بالعربية من الصف الأول ويستمر حتى نهاية المرحلة الثانوية في المدارس الرسمية. أما في المدارس الخاصة فتعلم بعض المواد باللغة الأجنبية. |

أما المدارس الخاصة فإن بعضها يدرّس المواد باللغة العربية فقط كما هي عليه الحال في ليبيا وسورية، إلى جانب مناهج إثرائية لمواد العلوم والرياضيات باللغة الأجنبية إلى جانب العربية في سورية، وهي التي تعلّم بها جميع المواد في المدارس الخاصة والرسمية.

ونلاحظ أيضاً أن دولة قطر تنفرد في أن المدارس المستقلة التي تشرّف عليها الدولة اعتمدت اللغة الإنجليزية لغة لتعليم مواد العلوم والرياضيات والحاسوب.

أما المدارس الخاصة في كل من الكويت وتونس والأردن وسلطنة عمان فتعلّم باللغتين العربية والأجنبية.

ويتبيّن من الجدول أن ثمة مواد تدرّس باللغة الأجنبية في التعليم العام في كل من لبنان والمغرب والجزائر، وأن المواد التي تدرس باللغة الأجنبية في لبنان هي العلوم الفيزيائية والكيميائية وعلوم الحياة والتقانة (التكنولوجيا) والمعلوماتية، وفي المغرب تعلّم مواد التعليم التقني والتجاري والصناعي والفنون باللغة الأجنبية.^(٢)

ويتضح من المعلومات السابقة عن واقع التعليم باللغة العربية في التعليم العام في الوطن العربي أن ثمة غياباً للسياسة اللغوية على نطاق الساحة القومية، إذ ليس ثمة تخطيط لغوي في ضوء سياسة لغوية واضحة ترسم الموقف من تعليم مواد المعرفة باللغة القومية وحدها في مرحلة التعليم الأساسي والمرحلة الثانوية، وذلك في المدارس الرسمية والخاصة. أما ما لاحظناه من اضطراب في المواقف وبوجه خاص في المدارس الخاصة فإنه يشكل ثغرة في النظام التعليمي العربي، إذ إن الاقتصار على تعليم بعض المواد باللغة الأجنبية دون العربية يعدّ عملاً سلبياً في صرح لغتنا العربية ونظامنا التربوي.

ثالثاً - واقع تعليم اللغات الأجنبية في التعليم العام

سبقت الإشارة إلى أن تعليم اللغات الأجنبية من الأهمية بمكان في عالمنا المعاصر بعد أن غدا العالم قرية صغيرة، ولكن لا بدّ لنا أن نفرّق بين تعلم اللغات

(٢) الدكتور محمود السيّد وآخرون - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - الخطة العامة لتعريب

الأجنبية وهو أمر هام، وبين تعلم مواد المعرفة باللغة الأجنبية بدلاً من العربية وفي المدارس العربية وعلى الأرض العربية، فهذا في غاية الخطورة.

ولكي نتعرف واقع تعليم اللغات الأجنبية في التعليم العام في الوطن العربي ننظر إلى الجدول ذي الرقم (٢) الذي يشتمل على الصف الذي يبدأ فيه تعليم اللغة الأجنبية الأولى، والصف الذي يبدأ فيه تعليم اللغة الأجنبية الثانية إن وجد.

الجدول (٢)

واقع تعليم اللغات الأجنبية في التعليم العام في الوطن العربي

| الدولة | اللغة الأجنبية الأولى | اللغة الأجنبية الثانية |
|----------|--------------------------------------|--------------------------------------|
| الكويت | بدءاً من الصف الأول (الإنجليزية) | بدءاً من الصف الرابع |
| قطر | بدءاً من الروضة (الإنجليزية) | - |
| ليبيا | بدءاً من الصف الخامس (الإنجليزية) | بدءاً من الصف العاشر |
| لبنان | بدءاً من الصف الأول (الفرنسية) | بدءاً من الصف السابع (الإنجليزية) |
| تونس | بدءاً من الصف الثالث (الفرنسية) | بدءاً من الصف السادس (الإنجليزية) |
| سورية | بدءاً من الصف الأول (الإنجليزية) | بدءاً من الصف السابع (الفرنسية) |
| السعودية | بدءاً من الصف السادس (الإنجليزية) | لا يوجد |

| الدولة | اللغة الأجنبية الأولى | اللغة الأجنبية الثانية |
|------------|-------------------------------------|--------------------------------------|
| الأردن | بدءاً من الصف الأول (الإنجليزية) | لا يوجد |
| المغرب | بدءاً من الصف الثالث (الفرنسية) | بدءاً من الصف التاسع (الإنجليزية) |
| سلطنة عمان | بدءاً من الصف الأول (الإنجليزية) | لا يوجد |
| الجزائر | بدءاً من الصف الثالث (الفرنسية) | بدءاً من الصف السادس (الإنجليزية) |

ويتبين من هذا الجدول ما يلي:

- ١- إن اللغة الأجنبية الأولى هي اللغة الإنجليزية في كل من الكويت وقطر وليبيا وسورية والسعودية والأردن وسلطنة عمان، وهي الفرنسية في كل من لبنان وتونس والمغرب والجزائر.
- ٢- إن تعلم اللغة الأجنبية الأولى يبدأ من الصف الأول من مرحلة التعليم الأساسي في كل من الكويت وسورية ولبنان والأردن وسلطنة عمان، ويبدأ من الصف الثالث في كل من تونس والمغرب والجزائر، ومن الصف الخامس في ليبيا والسعودية، أما في دولة قطر فيبدأ من الروضة.
- ٣- ثمة دول عربية لم تشر إلى اللغة الأجنبية الثانية فيها، وهذه الدول هي: قطر والسعودية والأردن وسلطنة عمان. وثمة دول أشارت إلى اللغة الأجنبية الثانية، ولكن لم تعرف نوعية هذه اللغة، ومن هذه الدول الكويت وليبيا.

٤ - يختلف البدء بتعلم اللغة الأجنبية الثانية من دولة إلى أخرى، فهو في الكويت يبدأ من الصف الرابع، وفي تونس والجزائر يبدأ من الصف السادس، واللغة الثانية فيها الإنجليزية، وفي لبنان وسورية يبدأ من الصف السابع حيث يتعلم التلاميذ الفرنسية في سورية لغة ثانية، وفي لبنان يتعلمون الإنجليزية لغة ثانية. وفي المغرب يبدأ التعليم من الصف التاسع، واللغة الثانية هي الإنجليزية، وفي ليبيا يبدأ تعلم اللغة الأجنبية الثانية في الصف العاشر.

٥ - إن اللغتين الأجنبيتين المعتمدين لغة أولى هما الإنجليزية والفرنسية، وكذلك الأمر في نوعية اللغة الأجنبية الثانية.

ويتضح مما سبق أن ثمة اضطراباً وغياباً للسياسة اللغوية في مجال تعليم اللغات الأجنبية على صعيد النظام التربوي العربي في التعليم العام.^(٣)

رابعاً- الواقع التعليمي في الممارسات داخل الصفوف

إذا كانت الوثائق تدل على اللغة المقررة في العملية التعليمية التعليمية في التعليم العام إن للعربية أو للأجنبية، فإن الممارسات داخل الصفوف هي المؤشر الأساسي على الواقع.

ولقد سبق لمؤسسة الفكر العربي أن وجهت استبانات إلى عينة من الطلاب بنين وبنات في نهاية التعليم العام في الوطن العربي، وقد شمل التوزيع الجغرافي كلاً من لبنان وسورية والأردن وفلسطين المحتلة والسعودية ومصر- وتونس

والمغرب وقطر، وموريتانيا والسودان والصومال والعراق.^(٤)
وبعد استبعاد العينات غير الممثلة في بعض الدول المشار إليها، والإبقاء
على النسب الممثلة إحصائياً أمكن ترتيب هذه النسب ترتيباً تنازلياً على النحو
المبين في الجدول ذي الرقم (٣).

الجدول (٣)

النسبة المئوية للعيينة المستجوبة مرتبة ترتيباً تنازلياً

| الدولة | عدد الطلاب في العينة | نسبتها المئوية |
|-----------|----------------------|----------------|
| لبنان | ٣٤٨٧ | ٧٣.٤٦ |
| المغرب | ٣٥٦ | ٧.٥٠ |
| فلسطين | ٣١٥ | ٦.٦٤ |
| موريتانيا | ٢٤٠ | ٥.٠٦ |
| تونس | ١٤٥ | ٣.٠٥ |
| السعودية | ١٣٤ | ٢.٨٢ |

ويلاحظ أن ما يقرب من ثلاثة أرباع حجم العينة إنما هو من لبنان، في حين أن الربع الباقي لها من خمس دول هي المغرب وفلسطين وموريتانيا وتونس والسعودية، كما يلاحظ أن ثمة ثلاث دول من المغرب العربي هي تونس والمغرب وموريتانيا، ودولتين من بلاد الشام هما لبنان وفلسطين، ودولة من دول الخليج العربي هي السعودية.

(٤) مؤسسة الفكر العربي - استطلاع رأي طلاب ما قبل التعليم الجامعي - بيروت ٢٠١١.

ولو ألقينا نظرة على واقع القطاع التعليمي من حيث نوعيته (حكومي أو خاص) فإننا نلاحظ أن النسبة المئوية للطلاب التابعين لكل قطاع على النحو المبين في الجدول (٤).

الجدول (٤)

النسبة المئوية للعينات المستجوبة من حيث نوعية القطاع الذي تتبع له

| النسبة المئوية | عدد الطلاب في العينة | القطاع التعليمي |
|----------------|----------------------|-----------------|
| ٦٢.٦٣ | ٢٩٦٠ | حكومي (رسمي) |
| ٣٢.٦٣ | ١٥٤٩ | خاص |
| ٥.٠١ | ٠٢٣٨ | لا جواب |
| ١٠٠ | ٤٧٤٧ | حجم العينة |

ويلاحظ أن ما يقرب من ثلث العينة المستجوبة هو من القطاع الخاص، وتجدر الإشارة إلى أن الأنظمة المطبقة في المدارس الخاصة تختلف أحياناً عن الأنظمة المطبقة في المدارس الرسمية الحكومية، وهذا الاختلاف يؤثر في اتجاهات الطلبة وميولهم.

أ- اللغة المطبقة في العملية التعليمية التعلمية:

تبين أن اللغة المعتمدة في المدرسة في تدريس مواد العلوم والرياضيات هي اللغة الأجنبية، إذ أشار ٤١.٤٪ من الطلبة إلى أن اللغة الإنجليزية هي المعتمدة، وأشار ٣٣.٥٪ منهم إلى أن الفرنسية هي المعتمدة، في حين أن نسبة من أشاروا إلى ثنائية اللغة بلغت ٦.٨٪.

وتبين أن امتحانات مواد العلوم والرياضيات تجري باللغة الإنجليزية

بنسبة قدرها ٤٣.٩٪ وبالفرنسية بنسبة قدرها ٣٣.٥٪ وبالعربية في المرتبة الثالثة بنسبة قدرها ١٩.٩٪.

وأبان ٩٣.٤٪ من الطلبة أنه لا يسمح لهم بالإجابة عن أسئلة مواد العلوم والرياضيات في الكتابي والشفهي باللغة العربية.

أما اللغة المعتمدة في شرح الدروس في العلوم والرياضيات فكانت مزيجاً من العامية والأجنبية بنسبة قدرها ٤٧.٥٪ وبالأجنبية بنسبة قدرها ١٥.٨٪ وبالعامية بنسبة قدرها ٨.٧٪ وجاءت العربية الفصيحة في المرتبة الأخيرة بنسبة قدرها ٤.٣٪.

وتدل هذه النسب على أن واقع الأنظمة المطبقة في المدارس يساعد أيها مساعدة على إقبال الطلاب على استعمال اللغة الأجنبية ما دامت الدروس تشرح بها، والامتحانات تؤدي بها، وأنه لا يسمح للطلاب بتأدية امتحاناتهم بالعربية. وتسود العامية في لغة التواصل بين الطلاب، إذ وصلت نسبة استخدامها إلى ٨١.٣٪ في حين بلغت نسبة استخدام ازدواجية اللغة (الفصيحة والعامية) ٦.٢٢٪ وبلغت نسبة استخدام ثنائية اللغة (أجنبية وفصيحة) ٦.٣٪، وجاءت الفصيحة في المرتبة الأخيرة حيث بلغت نسبة استخدامها ٣.٥٪.

أما السبب في عدم التواصل مع الأساتذة بالفصيحة فقد أرجعه ٣١.٤٪ من الطلاب إلى خوف الوقوع في الخطأ و٣٠.٣٪ إلى صعوبة العربية وتعقيدها، وتجدر الإشارة إلى أن غياب القدوة الحسنة في استعمال اللغة السليمة إن من المعلمين أو المتعلمين هو سبب أساسي في عدم التواصل، وأن ثمة أخطاء

(٥)

يرتكبونها عند ممارستهم العربية الفصيحة.

ب- الواقع المتعلق بميول الطلبة واتجاهاتهم نحو اللغة العربية:

أشار ٥٦.٢٪ من طلبة المرحلة الثانوية إلى أنهم اختاروا الفرع العلمي لا الأدبي في دراستهم للحصول على الشهادة الثانوية، وأن السبب في هذا الاختيار هو الرغبة في متابعة الاختصاص في الجامعة كما أفاد بذلك ٤٩.٨٪ منهم. وأبان ما يقرب من نصف الطلبة أنه لا يجب اللغة العربية، إذ إن ٥٣.١٪ من الطلاب فقط أبدوا محبتهم للغة الأم (العربية الفصيحة)، وهذه أمانة بالغة الخطورة على واقع أبنائنا الطلبة نحو لغتهم القومية.

وذكر ٦٥.١٪ من الطلبة أنهم لا يرغبون في تعلم مواد العلوم والرياضيات وسائر المواد في المرحلة الثانوية باللغة العربية، كما أشاروا إلى أنه لو ترك لهم الخيار في الإجابة عن أسئلة مواد العلوم والرياضيات في الكتابي والشفهي فإنهم يختارون اللغة الأجنبية أكثر من اختيارهم للعربية، إذ بلغت نسبة من يختار الأجنبية ٦٥.٤٪ في حين أن نسبة من يختار العربية ٣١.٣٪.

ج- الكفايات اللغوية للمتعلمين:

تبين أن ثمة قصورًا في الكفايات اللغوية للمتعلمين من حيث الفهم والقراءة السليمة والتعبير الوظيفي والقواعد النحوية والتذوق الأدبي والتفتيش والبحث في المعاجم، وحفظ الشعر والنثر... إلخ.

(٥) الدكتور محمود السيد - الكفايات اللغوية لطلاب ما قبل التعليم الجامعي - مجلة التعريب -

ذكر أكثر من نصف الطلبة المستجوبين أنهم يجدون صعوبة في فهم كثير من الكلمات في النصوص القديمة والحديثة، ولا يقتصر- القصور في الفهم على النصوص المقروءة في القراءتين الجهرية والصامتة، وإنما يمتد إلى النقص في فهم ما يستمعون إليه في الدروس، وأن ثمة نفرًا من الطلبة ينجحون أن يسألوا عن نقطة لم يفهموها، ويحسون بالحرج في السؤال أمام زملائهم.

وأشاروا أيضًا إلى أنهم لم يدرّبوا التدريب الكافي على ضروب التعبير الوظيفي: توجيه التعليمات والإرشادات، إلقاء الكلمات في المناسبات المختلفة، كتابة المذكرات، إعداد محاضر الجلسات وملخصات عنها، كتابة النشرات والإعلانات، واللافتات، كتابة بطاقات الدعوة والاعتذار، تحرير الرسائل الديوانية، ملء الاستمارات، إجراء المقابلات، أصول تقديم الطلبات... إلخ.

كما أشاروا إلى ارتكابهم الأخطاء النحوية في تعبيراتهم الشفاهية والكتابية، وإلى صعوبات يحسون بها في دروس النحو، وفي البحث في المعاجم، وذكروا أنهم لا يحفظون الشعر أو النثر، إذ أشار ٥٥.٢٪ من الطلبة إلى أنهم لا يحفظون أي شعر من مختلف عصور الأدب العربي، ولا يمارسون القراءة الحرة وإنما يرغبون في التنزه والتسلية ومشاهدة السينما والتلفزة ويفضلون ذلك على القراءة.

خامسًا - قضايا مثارة

سبقت الإشارة إلى أنه لا توجد سياسة لغوية واضحة على الصعيد العربي تجاه البدء بتعلم اللغات الأجنبية في التعليم العام في الوطن العربي، وثمة فريقان لكل منهما رؤيته في النظر إلى هذه القضية، إذ يرى الفريق الأول إرجاء تعليم اللغات الأجنبية إلى الحلقة الثانية من مرحلة التعليم الأساسي حتى يتمكن

الأطفال من اكتساب لغتهم الأم دون منازعة لغة أخرى لها في عملية التعلم والاكْتساب، وكان المربي ساطع الحصري من حملة لواء هذا التوجه إذ يقول: «من الأمور الثابتة بالأبحاث العلمية أن تعلم لغة أجنبية قبل إتقان اللغة الأصلية، وقبل الوصول إلى درجة من النضج العقلي، يضر- بمصلحة الطفل، ويعرقل نموه الفكري عرقلة واضحة».^(٦)

ويذهب الحصري إلى أن تعلم لغة أجنبية لتلاميذ لم يتقنوا بعد لغتهم الأصلية لا يتفق وقواعد التربية الصحيحة، وينافي مبادئ التربية القومية السليمة، ذلك لأن تعليم الصغار قواعد لغتين مختلفتين في وقت واحد يرهق عقول التلاميذ، ويعوق نموهم الفكري، ويشوش أذهانهم، ويعطي مردوداً رجعيّاً على تعلمهم اللغة الأولى.

كما أن المدارس الابتدائية هي لأجل تعليم جميع أبناء الشعب، تدرّس فيها الأمور التي يحتاج إليها جميع الناس، ولا يستغني عنها أحد مهما تكن المهنة التي يمارسها. واللغة الأجنبية ليست من الأمور التي يحتاج إليها جميع أفراد الشعب، ولا يستغني عنها أحد، لذلك يجب أن تبقى خارج تدريس مدارس المرحلة الأولى من التعليم.^(٧)

ويحدد الحصري الغاية من تعلم اللغة الأجنبية فيرى أن هذه الغاية يجب أن تكون الاستفادة منها لتقوية الثقافة لا التكلم بها في الشوارع أو في المخازن، وبدهي أن الاستفادة من هذه اللغة لهذا الغرض لا يمكن أن يكون في المدارس

(٦) أبو خلدون ساطع الحصري- تقارير واقتراحات للإصلاح- ص ٩٣.

(٧) الحصري- آراء وأحاديث في العلم والأخلاق والثقافة- ص: ٧٨-٧٩.

الابتدائية، بل في المدارس الثانوية وحدها.

ويؤيد وجهة نظره قائلاً «ما من دولة من الدول الراقية تعلم في مدارسها الابتدائية لغة أجنبية، فدول البلقان الحديثة التي لا تقل عن سورية حاجة إلى الاستفادة من اللغات الأوربية لا تعلم غير اللغة الأصلية في المدارس الابتدائية. إن تركيا حذفت اللغة الأوربية من مدارسها الابتدائية، والعراق حذف اللغة الإنجليزية من الصفوف الأربعة الأولى، فلا تعلم إلا في الصف الخامس من الدراسة الابتدائية».^(٨)

أما الفريق الثاني الذي يرى أن لا ضرر من تعلم لغة أجنبية في وقت مبكر فينطلق من أن التكلم بلغة ثانية - واحدة على الأقل - يعد من متطلبات العصر، إذ لم يعد تعلم لغة ثانية في عالم اليوم امتيازاً أو ترفاً، وحكراً على الأطفال الذين يذهبون إلى المدرسة بعد مرحلة التعليم الإلزامي، بل أصبح جزءاً من تربية كل طفل، حتى لو تلقى أدنى حد من الدراسة، فضلاً عن أن كثيراً من الأطفال يتسربون ولا يبقون في المدارس مدة طويلة كافية، مما لا يسمح لهم بأي تأخير في تعلم اللغة الثانية.^(٩)

وبهذا يصبح تعليم لغة ثانية أمراً أساسياً ليس فقط من وجهة نظر المجتمع، وإنما كذلك لأجل الفرد نفسه وتربيته الشخصية، ذلك لأن معرفة لغة ثانية تمكّن المرء من العيش والتحرك بحرية أكبر في أكثر من حضارة، ومن ثم تحرره من الحدود الثقافية المفروضة عليه بالانتماء إلى جماعة حضارية واحدة، أو مجتمع لغوي معين.

(٨) المرجع السابق ص ٩٤.

(٩) UNESCO (1963) Foreign language in Primary Education P 15.

وإن معظم الدراسات أجمعت على اعتبار تعليم لغة ثانية جزءاً ضرورياً في تكوين الشخصية في عالمنا المعاصر، وجزءاً أساسياً من عملية التربية الأساسية. وبهذا يظهر أنه لا تعارض يذكر بين تعليم لغة أجنبية في المدارس الابتدائية وبين قواعد التربية الصحيحة ومبادئ التربية القومية السليمة.

ويذهب هذا الفريق أيضاً إلى أن من الحقائق المسلّم بها في علم النفس أن الإنسان يتمتع بقدرة كبيرة على التعلم، وهي ظاهرة يتفرد بها الإنسان عن غيره من الكائنات الحية الأخرى، فالطفل يولد وهو مزود باستعداد فطري لاكتساب اللغة وتعلمها، وهو لا يملك فقط موهبة لا تجارى في اكتساب اللغة وتقليد الأصوات، بل يتمتع كذلك بمرونة كبيرة، وليس لدى علم النفس دليل ملموس يثبت وجود أي ضرر يلحق بالطفل من جرّاء تعلمه المبكر للغة ثانية، وإنما على العكس أظهر ميزات كثيرة تعطي مسألة البدء المبكر وزناً أعمق وأكثر بعداً، منها أن المرحلة الأبر التي يجري بها تعلم لغة ثانية هي المرحلة الأكثر ملاءمة لاكتساب هذه اللغة بطريقة تشابه تعلم اللغة الأولى.^(١٠)

وفي تقرير لمؤسسة التربية الحديثة في أمريكا يبين جيزل الحج Gesell أن الاتجاه الحالي نحو توفير فرص تعلم لغة ثانية في مرحلة مبكرة يدل على تعرف أكثر اتصاحاً لأنماط تطور الطفل وتدرجه، فالطفل الصغير يستمتع بتجربة اللغة، وهو مستعد لأن يتعلم ويصغي ويتواصل مع الآخرين بكلمة تخرج من الفم، وذلك في حالات لعب أو أوضاع تمثيلية حياتية، وبدافع ذاتي مستحب،

يكون الطفل عاطفياً سهل الانقياد إلى لغة ثانية وحتى لغة ثالثة.^(١١)
ولقد أجريت دراسات وافية في أنحاء مختلفة من العالم كما أشارت المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) للثبت فيما إذا كان يوجد تأثير ضار يمكن أن يحدثه تعلم لغة ثانية على تطور الطفل العاطفي والفكري وعلى شخصيته أو حتى على تطور اللغة الأولى لديه، إلا أن هذه الدراسات لم تصل إلى نتائج حاسمة حول هذا الموضوع.

وبناء على ذلك أجمعت آراء الباحثين على أنه في حال عدم وجود برهان قاطع أو دليل ملموس يمكن الباحث أن يقرر أن تعليم لغة ثانية هو ميزة أو عائق للشخصية الفتية. وفي حال غياب مثل هذا الدليل يوجد بالمقابل برهان واضح يعطي مقداراً من الأفضلية للبدء المبكر بتعلم لغة ثانية تسوّغه المكاسب النفسية والاجتماعية الكثيرة التي يحصل عليها من يتقن التكلم بلغتين أو أكثر.^(١٢)

ويذهب هذا الفريق أيضاً إلى أن تعلم اللغة الأجنبية المبكر له خصائص معينة لا تتكرر في مرحلة لاحقة، ويمكن الإفادة منها في المدة بين الخامسة والحادية عشرة من عمر الطفل، وذلك إذا وجه هذا التعلم وفق أفضل مبادئ التعليم وطرائقه (تهيئة أجواء لغوية اصطناعية) ليأتي أقرب ما يكون إلى التعلم الطبيعي الذي يحصل عليه طفل يعيش في وسط يتكلم لغتين. وعلى هذا تبرز أهمية البدء بتعليم اللغة الأجنبية منذ المرحلة الأولى حتى يستمر التدريب على

(١١) المرجع السابق ص ٢٢.

(١٢) المرجع السابق ص ١٧-٢٠.

استعمالها مدى أطول من السنين.

وتجدر الإشارة إلى أن الطفل يواجه عقبات عند البدء بتعلم اللغة الأجنبية في المرحلة الثانوية يمكن تلافيها بالبدء في تعليم هذه اللغة منذ الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي، والإفادة من فرص السنين الغضة لاكتساب اللغة، والتي يملك الطفل فيها مقدرة كبيرة على التقليد بالنسبة لأصوات لغة ما، وقدرة عظيمة على تمثل تراكيب لغوية أخرى، وهذه بمجموعها أمور ثمينة من الحكمة عدم إضاعتها أو الإقلال من شأنها. يضاف إلى ذلك أن اللغة لا تتأتى بسرعة، ومن الأفضل أن تتأصل مع الطفل منذ مراحل مبكرة، ذلك لأن الطفل كالرادار يمتص ما حوله في البيئة ولأن لعقله استعدادًا لاستيعاب أمور كثيرة، والمسألة فقط مسألة طريقة وأسلوب ونوع المادة المتعلمة.^(١٣)

والواقع لم تصل البحوث إلى نتائج حاسمة في هذا المجال، وما يزال كل فريق متمسكًا بوجهة نظره إلى هذا الموضوع، وفي دراسة تتبعية لثلاث مجموعات من أطفال الرياض تعلمت الأولى اللغة العربية، والثانية اللغتين العربية والإنجليزية، والثالثة اللغات الثلاث العربية والإنجليزية والفرنسية، وجرى تتبع هذه المجموعات الثلاث حتى نهاية الصف الرابع من مرحلة التعليم الأساسي، حيث أجري اختبار لقياس المستوى التحصيلي في اللغة العربية، فلم يتبين وجود اختلاف في هذا المستوى بين أطفال المجموعات الثلاث، وإنما وجد أن أطفال المجموعتين الثانية والثالثة كانت لديهم اتجاهات سلبية نحو اللغة العربية، وقد يرجع السبب إلى طرائق تدريس لغتنا العربية، إذ إن طرائق تدريس

اللغات الأجنبية جذابة وغنية في أساليبها وتقاناتها الحديثة، في حين أن طرائق تدريس العربية مازالت متخلفة أسلوبًا وتقانة.

سادسًا - صوى على درب النهوض بالواقع

لما كان ثمة فوضى واضطراب في وضع اللغة العربية واللغات الأجنبية في العملية التعليمية التعلمية في التعليم العام بالوطن العربي كان لابد من رسم بعض الصوى للنهوض بهذا الواقع، ومن هذه الصوى:

١ - وضع سياسة لغوية وتخطيط لغوي في ضوءها للتمكين للغة العربية:

إن الحرص على أن يتقن أبناء العربية لغتهم الأم (العربية الفصيحة) واجب مقدس، فينبغي للجهود أن تبذل للتمكين للغة العربية في التعليم العام على أنه الأساس في تزويد الناشئة بالكفايات اللغوية، وعلى أن يتناول التمكين جميع جوانب العملية التعليمية التعلمية مناهج واستعمالاً سليماً على ألسنة المعلمين والمتعلمين، وطرائق وأساليب وتقانات حديثة، ومناشط وفعاليات صافية ولا صافية، ومساجلات ومناظرات ومسابقات على جميع الصعد... إلخ. ومن البدهي أن وضع سياسة لغوية قومية على الصعيد العربي ووضع خطة في ضوءها يساعد أياً مساعدة على عملية التمكين، على أن تكون ثمة متابعة حثيثة لتنفيذ بنود هذه الخطة على الصعيدين القومي والوطني.

٢ - وضع سياسة لغوية وتخطيط لغوي للغات الأجنبية:

إن تعلم اللغات الأجنبية أمر لازب على أن تبقى للغة الأم المكانة الجديرة بها في العملية التعليمية التعلمية، وأن يكون ثمة تركيز عليها من حيث الاهتمام

والعناية والإتقان وتعليمها بالأساليب الجذابة والشائقة تمكيناً لها في نفوس أبناء الأمة وعقولهم ووجداناتهم.

وفي الوقت نفسه لما كان عصرنا الحالي، عصر العلم والتقانة (التكنولوجيا)، وعصر الانتشار الثقافي والانفتاح على حضارات الأمم والشعوب كان لابد من وضع سياسة لغوية وتخطيط لغوي تجاه تعليم اللغات الأجنبية من حيث تحديد صف البدء بتعليمها، وعدد ساعاتها.

٣- إتاحة الفرصة لاختيار اللغة الأجنبية المتعلمة:

لابد من أن يكون ثمة تخير للغات الأجنبية الحية التي يتعلمها أبناء الأمة في ضوء رؤية استراتيجية مستقبلية، وإذا كانت اللغة الإنجليزية هي اللغة العالمية في المرتبة الأولى من حيث انتشارها على الصعيد العالمي فإن ثمة لغات أخرى يترتب على أبناء العربية تعلمها في ضوء العلاقات التي تربط الأمة العربية بأصحابها مادام الوطن العربي يتوزع بين قارتي آسيا وإفريقيا.

واختيار اللغة الأجنبية دون فرضها فرضاً على التلاميذ كما يحدث الآن على الصعيد العربي حيث تسود الإنجليزية في دول الخليج العربي والفرنسية في دول المغرب العربي، أمر تربوي سليم من حيث ترك الحرية لعملية الاختيار، والسؤال الذي يمثل أمامنا: لم لا نعلم اللغة الصينية في مدارسنا أو اليابانية علماً بأن الصينية أصبحت ثاني دولة في العالم من حيث الأهمية الاقتصادية بعد أمريكا؟ لم لا نبين لأبنائنا أهمية تعلم اللغة الأجنبية ثقافياً واقتصادياً وسياسياً؟ ونوضح لهم المزايا النسبية التي يحصلون عليها عند إتقان اللغة وفرص العمل المحتملة مثل الترجمة

والعمل في شركات عربية صناعية تتعامل مع أصحاب تلك اللغة الأجنبية المكتسبة الذين يحتاجون إلى مختصين في لغتها واقتصادها وحضارتها؟
كم من منافع سياسية واقتصادية يجنيها الوطن العربي لو تعلم ١٠٪ من أبنائه فقط اللغة الصينية و ١٠٪ اللغة الهندية و ١٠٪ اللغة الروسية و ١٠٪ اللغة اليابانية؟ تساؤل ورد على لسان الاقتصادي الدكتور نزار العبد الله.
ويسأل أيضًا: لم لم نعد العدة لتأهيل المعلمين في ضوء خطة تبدأ بلغات الدول الإسلامية كالمليزية والإندونيسية والإيرانية والأوردية علمًا بأن الحرف العربي ما يزال مستعملًا في عدد من لغات تلك الدول؟ ولم لا نبدأ بتعلم بعض اللغات الإفريقية للدول المجاورة للوطن العربي مثل النيجر ومالي وتشاد والسنغال؟.

مراجع البحث

- أبو خلدون ساطع الحصري - تقارير واقتراحات للإصلاح.
- أبو خلدون ساطع الحصري - آراء وأحاديث في العلم والأخلاق والثقافة.
- الدكتور طه حسين - مستقبل الثقافة في مصر - مطبعة المعارف ومكبتها - القاهرة ١٩٦٨.
- الدكتور محمود السيد وآخرون - الخطة العامة لتعريب التعليم - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس ٢٠١١.
- الدكتور محمود السيد - الكفايات اللغوية لطلاب ما قبل التعليم الجامعي - مجلة التعريب - العدد الثالث والأربعون - كانون الأول ديسمبر ٢٠١٢.
- مؤسسة الفكر العربي - استطلاع رأي طلاب ما قبل التعليم الجامعي - بيروت ٢٠١١.